



دلالة الجملة في القرآن الكريم آيات المغازي (إنموذجاً)

م. د. أمير احمد عبيد حسين¹

¹ جامعة القاسم الخضراء – العراق

الملخص. إنّ الجملة العربية متعدّدة القضايا، والمظاهر، ودوّارة في الاستعمال العربي؛ لذا قلّ أن تجد باباً نحوياً يخلو من الحديث عن شيء منها، كما أنّ دراستها لا تقتصر على التراكيب النحوية، بل تشمل عدداً من الأدوات، وهي في كلّ ذلك تختصّ بأحكام وقضايا، تُشكّل في مجموعها خواصّ أسلوبية لاستعمالاتها. وأنها من أكثر أقسام الجمل إشكالا وكثرة مسائل، بل لست واجداً أيّ نوع من الجملة العربية- أيّا كان التقسيم يشتمل على ما تشتمل عليه هذه الجملة من القضايا والإشكالات، ومن مهمّ قضاياها: العمل النحوي، وإلغاؤه وتعليقه، واختصاصها بعدد من الأحكام النحوية المختلف فيها، وآثار الطلب في بنائها، واجتماع بعض الظواهر وتنازعها في الأحكام (كاجتماع الشرط والاستفهام)، والحذف والذكر واختلاف النحاة حول جواز الحذف، والتقديم والتأخير، واشتراك الصورة اللفظية للمبنى الواحد وأثرها في التركيب، وغيرها. **الكلمات المفتاحية:** آيات المغازي، الجملة الاسمية، الجملة الفعلية، المبتدأ، الخبر.

Abstract. The Arabic sentence has many issues and manifestations, rotating in Arabic usage; Therefore, say that you find a grammatical chapter devoid of talking about any of it, and its study is not limited to grammatical structures, but rather includes a number of tools, and in all of this it is concerned with provisions and issues, which in total constitute stylistic characteristics of their uses. And it is one of the most problematic sections of sentences and a lot of issues, and I do not find any kind of Arabic sentence - whatever the division includes what this sentence contains of issues and problems, and among its important issues: grammatical work, its cancellation and suspension, and its specialization



with a number of grammatical provisions that differ in it, And the effects of the request in its construction, the meeting of some phenomena and their conflict in the rulings (such as the meeting of the conditional and interrogative), omission and remembrance, the grammarians' disagreement about the permissibility of omission, advance and delay, the participation of the verbal image of the same building and its impact on the structure, and others.

Keywords: Al-Maghazi verses, the nominal sentence, the actual sentence, the beginning, the news

المقدمة

إن الجملة والكلام عند القدماء مصطلحان متداخلان، قال ابن جني: (أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك، وقام محمد...) (ابن جني، د.ت.، ج. 17/1) أما عند ابن هشام الذي لم يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما اشترط فيها الإسناد سواء أفاد أم لم يفد فهي عنده أعم من الكلام (ابن هشام، 1386هـ، ج. 2/ 374). وعند المحدثين هي: (الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات، والجملة التامة التي تعتبر عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يصح السكوت عليها) (المخزومي، 1964، ص. 35) أو هي التي تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم، أو الكاتب، أو الشاعر، يرتب بينها، وينظم لنا من هذا النظام كلاماً مفهوماً ولا نرى فيه خروجاً من تجارب سابقة، (من أسرار اللغة، د.ت.، ص. 278) أو هي: (أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر) (من أسرار اللغة، د.ت.، ص. 236)، وهي لدى المحدثين أساس الدراسات الدلالية الحديثة، فتتحدد بموجبها دلالة الألفاظ المفردة، ثم يتحدد المعنى العام الذي - ربما - يفضى إلى معنى آخر يمثل الدلالة المقصودة (بالمر، د.ت.، ص. 46؛ الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د.ت.، ص. 25)، لذا فإن النحاة اهتموا - قديماً وحديثاً - بدراسة الجملة ومعناها، لأن معنى الجملة متصل ذاتياً بمعنى الوحدة الكلامية، إلا أنه يتميز عنه بموجب التمييز بين الاستعمال المميز للجملة (اللغة والمعنى والسياق، د.ت.، ص. 120).

ثم جاءت النظرية التوليدية التحويلية التي أشارت إلى إمكانية توليد عدد لا محدود من الجمل المشتقة من جملة واحدة بعد إجراء التحويلات عليها (البنى النحوية، د.ت.، ص. 115 وما بعدها؛ في التحليل اللغوي، د.ت.، ص. 87)، وسأعرض إلى دلالة الجملة الاسمية، والجملة الفعلية في آيات المغازي لكونهما

النمط السائد في الدراسات النحوية، ولقوة الإسناد فيهما ووضوحه، وهذا ما اقره الدرس النحوي الحديث (براجستراسر، 1982، ص. 132).

الجملة الاسمية ودلالاتها:

الجملة الاسمية: هي الجملة التي يتصدرها اسم يخبر عنه باسم، أو بفعل، وتتألف من ركنين أساسيين هما: المسند والمسند إليه، قال سيبويه: (وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءاً فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك) (سيبويه، د.ت.، ج. 1 / 32).

والإسناد في مفهوم البلاغيين: هو ضم كلمة على وجه يفيد أن مفهوم أحدهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو نفي عنه، فقولنا: شكر محمد ولم يذهب زيد، هو إسناد الشكر لمحمد، وعدم الذهاب لزيد (المطول، د.ت.، ص. 148).

فالنحاة والبلاغيون عنوا بمعنى التركيب الكلامي وتوصلوا إلى أن التراكيب الدالة على التجدد والحدوث تمثلها سياقات الجمل الفعلية والتراكيب الدالة على معنى الاستقرار والثبوت تمثلها سياقات الجملة الاسمية (الخالدي، 1990، ص. 316)، وقد أشار إلى هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني قائلاً: (إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء) (دلائل الإعجاز، د.ت.، ص. 133؛ معاني الأبنية، د.ت.، ص. 9)، وقد أشار ابن جني إلى ذلك بقوله: (وهذا كقولك: إذا زرتني فأنا ممن يحسن إليك، أي فحزني بي أن أحسن إليك، ولو جاء بالفعل مصارعاً به، فقال: إذا زرتني أحسنت إليك، لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره، وجاز أيضاً أن يظن به عجز عنه، أو ونّي وفقر دونه، فإذا ذكر أن ذلك عادته، ومظنة منه، كانت النفس إلى وقوعه أسكن، وبه أوثق، فاعرف هذه المعارض في القول، ولا ترينها تصرفاً واتساعاً في اللغة مجردة من الأغراض المرادة فيها، والمعاني المحمولة عنها) (ابن جني، 1986، ج. 2 / 274). وللجملة الاسمية دلالات مختلفة، تختلف باختلاف تركيبها، فقد يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، وقد يأتي المبتدأ معرفة والخبر معرفة، وقد تختلف المعارف في الجملة ليعطي كل نوع من هذه الأنواع دلالة مغايرة عن النوع الآخر (علم المعاني، د.ت.، ص. 89)، ولا سيما في النص القرآني، وما هذا إلا لكون اللغة العربية أوسع اللغات في الألفاظ والمفردات، وفيما تحمل تلك الألفاظ من دلالات، وأنها أحسن

اللغات في دقة العبارة، وقوة الجملة (السعدي، 1986، ص. 24)، وسأعرض إلى هذه الأنواع ودلالاتها في آيات المغازي.

أولاً: المبتدأ معرفة والخبر معرفة

ومما ورد منه في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 122)، ذكر المفسرون أن سبب نزول الآية هو أن فرقتين من المسلمين تجبنا، وأرادتا الرجوع إلى المدينة، وكان سبب ذلك أن ابن سلول دعاهما إلى ذلك فهُمَا به ولم يفعلاه (الطبرسي، 2005، ص. 4 - 376)، وَلَهُمْ فِي اللِّغَةِ: الحزن، وَالْجَمْعُ (الهُمُوم)، وَأَهَمُّهُ الْأَمْرُ: أَقْلَقَهُ وَحَزَنَهُ، ويقال: هَمَكَ مَا أَهَمَّكَ، وَالْمُهْمُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ، وَالْمَهْمَةُ: تَرْدِيدُ الصَّوْتِ فِي الصَّدْرِ (العين، د.ت.، ج. 3/358) وَالْفِشْلُ فِي اللِّغَةِ: الرَّجُلُ الضَّعِيفُ الْجَبَانُ (العين، د.ت.، ص. 275).

ويلاحظ على ألفاظ الآية أنها تدل على أن هذا الأمر، وهو الرجوع إلى المدينة مجرد ترديد في الصدر لا غير، وهذا مستفاد من دلالة (الهم) في اللغة الذي يعني ترديد الفكرة داخل النفس لا خارجها، فهو هم نفس، ونزعه شيطان لا غير (الكشاف، د.ت.، ج. 1 / 409). والذي أكد هذا المعنى مجيء الجملة الحالية، في قوله (والله وليهما)، إذ إن الله مدحهما، وأخبر أنه وليهما، أي ناصرهما، ولو كان هَمَّهُم هم عزيمة وقصد لكان ذمهم أولى من مدحهم (الطبرسي، 2005، ج. 2 / ج. 4 / 376)، ويلاحظ أن هذه الجملة جاءت اسمية متكونة من مبتدأ معرفة (الله) وخبر معرفة، وهو (وليهما) والجملة الاسمية تكسب المعنى ثبوتاً واستقراراً فضلاً عن تعريف طرفيها الذي زادها قوة ومبالغة، لتزيل الشبهة عن هاتين الفرقتين (الكشاف، د.ت.، ج. 1 / 409)، زيادة على ذلك مجيء المبتدأ معرفاً بالعلمية، أي يذكر لفظ الجلالة (الله)، فالمقام يقتضي إحضار مدلوله بعينه في ذهن السامع، لدفع هذه الشبهة بشكل نهائي، إذ إن المقام مقام رَدِّ على من يعتقد خذلان هاتين الطائفتين للرسول الأكرم (علم المعاني، د.ت.، ص. 92) ولتكرار لفظ الجلالة (الله) في قوله: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ومجيئه مقدماً على عامله للتبرك به، وفي هذا إشعار بأن الإيمان بالله تعالى من موجبات التوكل عليه، وحذف متعلق التوكل ليفيد العموم أي: ليتوكلوا عليه عز شأنه في جميع أمورهم جليلها وحقيرها (روح المعاني، د.ت.، ج. 4 / 359). ومنه قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: 15، 151)، نزلت الآيتان الكريمتان لتبين نصره الله - سبحانه وتعالى - للمسلمين، إذ قذف في قلوب المشركين الخوف يوم أحد، فانهمزموا إلى مكة من غير سبب، ولهم

القوة والغلبة (الكشاف، د.ت.، ج. 1/ 425) صدرت الآيتان بالأداة (بل) التي تفيد الإضراب، وقد أفاد الحرف (بل) الإضراب مع ترك الكلام الأول من غير إبطال، إذ ليس للكفار أولياء فيطاعوا في شيء، ولا ينصرونكم، بل الله ناصركم لا غيره (روح المعاني، د.ت.، ج. 4/ 416)، ويلاحظ أن الآيتين أوردتا التأكيد على معان عدة، منها التأييد والنصرة واللقاء الرعب في قلوب المشركين، والمصير الذي لا بد منه للكافرين، وهو الخلود في نار جهنم، وجاء التعبير عن هذه المعاني أغلبها بجمل اسمية طرفيها معرفتين، وهي: (الله مولاكم - هو خير الناصرين - مأواهم النار) فجاء المبتدأ في الجملة الأولى معرفاً بالعلمية وهو لفظ الجلالة (الله)، فالمقام يقتضي إحضار مدلوله بعينه في ذهن السامع، أو أن القصد من ذكره التعظيم والتبرك (علم المعاني، د.ت.، ص. 92)، وفي الجملة الثانية جاء المبتدأ معرفاً بضمير الغيبة (هو) العائد إليه تعالى، وسوغ ذلك أن النص القرآني ذكر ما يدل عليه الضمير، وفي ذلك إبراز لعلو مكانته، وبعد منزلته (علم المعاني، د.ت.، ص. 92) يلاحظ أن الخبر جاء معرفاً بالإضافة في الجمل جميعها، وفي ذلك مبالغة في المعنى وجعله أتم وأكمل، وتكثير المعنى والدلالة على غزارته، لأن زيادة المبنى تدل على كثرة المعنى (علم المعاني، د.ت.، ص. 92). وقد وضع الظاهر موضع المضمرة، للتغليظ والتعليل، في قوله: (وبئس مثوى الظالمين) والإشعار بأنهم في إشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه، والمثوى: مكان الإقامة على وزن مَفْعَل، من ثويت، ولامه ياء والمخصوص بالذم محذوف، أي: بئس مثواهم النار، ولم يعبر بالمأوى، للإيذان بالخلود، إذ الإقامة مأخوذة في المثوى دونه (النهاية في غريب الحديث، د.ت.، ج. 1/ 230؛ روح المعاني، د.ت.، ج. 4/ 417).

وقد عبر النص القرآني عن إلقاء الرعب في قلوب المشركين بجملة فعلية بزمن المضارع (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)، وهي تفيد التجدد والحدوث (الطراز، د.ت.، ج. 2/ 31)، أي: أن الإلقاء متجدد مستمر كلما أرادوا التفكير بقتلكم أو الرجوع إليكم ليرهبوكم، وقد أكد ذلك بدخول (السين) على الفعل المضارع التي تفيد التحقيق (أساليب التوكيد في العربية، د.ت.، ص. 51 - 52)، فضلاً عن ذلك فإنه تعالى أسند الإلقاء إليه، ليكسب المعنى مبالغةً، وقدسية أكثر (التحرير والتنوير، د.ت.، ج. 4/ 123 - 124) ويلاحظ أنه عبر عن أبي سفيان وأصحابه بالاسم الموصول (الذين كفروا) وفي ذلك يقول البلاغيون: إن السرّ البلاغي وراء التعبير بالاسم الموصول هو استهجان التصريح بأسمائهم لأن الذي يقدم على هذا العمل تنفر النفوس من ذكره، وتكره الألسن التقوه باسمه، أو قد يكون وراء ذلك غرض آخر هو إخفاء لأسمائهم وفي هذا من الرجاء في هدايتهم ما ليس في إفشاء أسمائهم (لغة المنافقين في القرآن الكريم، د.ت.، ج. 1/ 24؛ علم المعاني، د.ت.، ص. 94).

ثانيا: مجيء المبتدأ (اسم إشارة) ودلالته

إن لمجيء المبتدأ اسم إشارة دلالات وأغراضاً كثيرة منها: القصد إلى تعظيمه، أو إلى تحقيره، وهذا مقصد تحققه أسماء الإشارة أحسن تحقيق وتقوم به خير قيام، لأن الإشارة تكون للقريب، والمتوسط، والبعيد، وقد ينزل البعد، أو القرب المعنوي منزلة القرب، أو البعد الحسي (علم المعاني، د.ت.، ص. 100). ومما ورد من أسماء الإشارة دالاً على معنى التعظيم في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 175).

بعد أن انتهت غزوة أحد بانتصار المشركين بقى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع عدد قليل من أصحابه، تمثل لهم الشيطان بهيئة رجل يبث الرعب والخوف في صفوفهم بقوله لهم: إن أبا سفيان وأصحابه سيعودون لقتالكم، والقضاء عليكم، فنزلت الآية تخبرهم بأن ذلك من عمل الشيطان فاثبتوا ولا تخافوا (الكشاف، د.ت.، ج. 1 / 443).

ويلاحظ أن الآية تصدرت بأداة القصر (إنما) التي تفيد إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره، أي أنها تفيد القصر على شيء ونفيه عن غيره (دلائل الإعجاز، د.ت.، ج. 1 / 421)، وقد أفادت قصر المجيء على الشيطان، وأنه هو الذي يقوم بعملية التخويف لا غيره، وقيل: إن الذي كان يخوفهم هو نعيم بن مسعود، وعليه فإن المعنى يكون: (إنما ذلك التخويف الذي كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان) (الطبرسي، 2005، ج. 2 / 451).

وقد جاء اسم الإشارة (ذلكم) مشيراً إلى عظمة هذا العمل، وما ترتب عليه من أثر في نفوس المؤمنين إذ لا يخفى ما كان عليه المؤمنون من حال في هذا الوقت، فهم في خوف وحيرة، وانكسار من جهة، ومن جهة أخرى قلة عددهم الذي لا يتجاوز العشرة والنيف على العشرة أمام حشود المشركين، فاستعمال اسم الإشارة (ذلكم) الذي يستعمل في سياقات يكون المشار إليه أمراً عظيماً (علم المعاني، د.ت.، ص. 100) مناسب حال المؤمنين وعظمة خوفهم عند سماعهم برجوع المشركين إليهم (الطبرسي، 2005، ج. 2 / 451). ولا يخفى ما في تكرار الألفاظ الدالة على الخوف من تصوير بليغ لهذه الحادثة وإحضارها في ذهن السامع والمتلقي، وقد جاء التعبير عنها بصيغة المضارع، هذه الصيغة - كما مرت بنا - تفيد إحضار الصورة في ذهن المتلقي وكأنها مشاهدة (روح المعاني، د.ت.، ج. 9 / 223)، وألفاظ الخوف هي (يخوف - تخافوهم - خافون) فبكرارها واستعمال الفعل المضارع الدال على التكثير والمبالغة في إحداها (يخوف) أفادت تصوير شدة الخوف الذي اعتلى المؤمنين حينها ويلاحظ أن النص القرآني قرن الشيطان



مع أبي سفيان وأصحابه، ليدل على أنهما وجهان لحقيقة واحدة في قوله (يخوف أوليائه)، أي: يخوفكم أوليائه بأن يعظمهم في قلوبكم، أو يخوفكم بأوليائه (روح المعاني، د.ت.، ج. 4 / 471).
وقد يكون المراد من مجيء المبتدأ اسم إشارة تمييزه أكمل تمييز، لأن اسم الإشارة بطبيعة دلالاته يفيد تحديد المراد منه تحديداً ظاهراً، أو تمييزه تمييزاً تاماً، فالمتكلم قد يقصد إلى هذا التحديد، ليحضر المبتدأ في ذهن السامع متميزاً تمام التمييز، وذلك عندما يكون معنياً بالحكم الذي يريد إضافته إليه، ويرغب في إبرازه، وزيادة تأكيده (علم المعاني، د.ت.، ص. 98).

ومن آيات المغازي التي ورد فيها اسم الإشارة مؤدياً هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 22).
الآية في سياق غزوة الأحزاب أشارت إلى تحقق ما وعد الله ورسوله المؤمنين من وقوع هذا الأمر وهو بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اختلاط الظنون أي لما شاهدوهم حسبما وصف لهم (روح المعاني، د.ت.، ج. 21 / 220) ويلاحظ أن في قوله تعالى: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) إشارة إلى ابتلائهم الشديد برؤية ذلك الخطب (روح المعاني، د.ت.، ج. 21 / 227)، وقد دل اسم الإشارة في قوله تعالى: (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) على تحقق رؤية المشار إليه وهم (الأحزاب) والتأكد من مثوله أمامهم وهذا مستفاد من دلالة اسم الإشارة (هذا) الذي يشار به إلى القريب (ارتشاف الضرب، د.ت.، ج. 2 / 975).
ويستعمل اسم الإشارة أحيانا للتنبيه على أن المشار إليه الذي وصف بأوصاف مختلفة مستحق لتلك الأوصاف المذكورة بعد اسم الإشارة (علم المعاني، د.ت.، ص. 101) ومن آيات المغازي التي دل فيها اسم الإشارة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: 88) أشارت الآية إلى الذين تخلفوا في غزوة تبوك، وصدرت الآية بحرف الاستدراك (لكن) تعريضاً بهم، أي: لا ضير في تخلف هذه الفئة، لأنه قد نهض لهذا الأمر من هم أشد بأساً ومن هم خير منهم، وأن هذه الفئة ليست من الإيمان بالله تعالى في شيء (روح المعاني، د.ت.، ج. 10 / 472).

والتعبير باسم الإشارة (أولئك) الذي تكرر مرتين أفاد بأن المشار إليه وهم (الرسول والذين آمنوا) مستحقون لتلك الأوصاف التي جاءت بعد اسم الإشارة وهي (الخيرات، والفلاح) والتي أعدت لهم، ودلت أيضاً على بعد منزلهم وعلو مقامهم (لغة المنافقين في القرآن الكريم، د.ت.، ج. 1 / 236).

ثالثاً: الابتداء بالانكرة



حق المبتدأ أن يكون معرفة، (لأن المبتدأ محكوم عليه فلا بد من تقديمه ليتحقق. ويجوز تأخيره حيث لا مانع نحو: قائم زيد) (همع الهوامع، د.ت.، ج. 32/2)، وأكثر ما يرد التكرير في التخصيم، والتعظيم (من الاستعمال القرآني، د.ت.، ص. 115)، ومن أنماط هذا الاستعمال تقديم الخبر عليه وهو ظرف أو جار ومجرور أو إذا سبقه استفهام، أو نفي، أو إذا وصف، أو عمل، أو أضيف إلى النكرة (ابن عصفور، 1986، ج. 322/1 - 186).

ويرى البلاغيون أن لتكرير المبتدأ، أو المسند إليه أغراضاً بلاغية كثيرة منها: الدلالة على انه فرد غير معين من أفراد جنسه، أو لإفادة النوعية أو القصد إلى تعظيمه، أو تحقيره، أو تكثيره، أو تقليبه، أو للدلالة على أن المبتدأ أو المسند إليه من نوع خاص متميز عما يعرفه المخاطب أو يألفه ويعهده، أو كراهة أن ينسب إليه الفعل معرفاً (علم المعاني، د.ت.، ص. 107).

ومن مجيء المبتدأ نكرة في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَيْنَا فَمَا لَكُمْ فِي صُورِكُمْ وَلِيُمَخِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: 154).

الآية في سياق غزوة أحد أشارت إلى ما وهب الله المؤمنين يوم أحد من الأمن والنعاس، يسبب الخوف الذي سيطر عليهم عند سماعهم برجوع المشركين إليهم (الطبرسي، 2005، ج. 2 / ج. 4 / 420)، وجاء التعبير عن الإنزال في قوله (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً) بفعل مزيد بالهمزة، وتدل الزيادة إلى جانب المعنى الأصلي للكلمة على تولد معاني جديدة ناتجة من تولد كلمات جديدة (الدلالة الإيحائية، د.ت.، ص. 34 - 35) وهذا يدل على سعة الإنزال وأن النعاس قد اعتراهم وسيطر على جوارحهم وذلك مستفاد من دلالة الاستعلاء في حرف الجر (على) قال سيبويه: (أما على فاستعلاء الشيء، نقول: هذا على ظهر الجمل، وهو على رأسه) (سيبويه، د.ت.، ج. 310/2)، والخطاب في قوله: (عليكم) للمؤمنين الخالص، أي: مجموعة خاصة من المؤمنين (روح المعاني، د.ت.، ج. 4 / 424) وهذا يدل عليه قوله تعالى: (يغشى طائفة منكم) إذ فيه إشعار بأنه لم يغش الكل وعليه فإن هذه الجملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤال تقديره: ما حكم هذه الأمانة؟ فأجيب بأنها تغشى طائفة، وقيل: إنها في موضع الصفة لأمانة، واعترض بأن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان، وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له، وأن المعهود أن يحدث على البدل دون المبدل منه (روح المعاني، د.ت.، ج. 4 / 425).

ويلاحظ أن النص القرآني بدأ الحديث عن الطائفة الأخرى بجملة اسمية جاء المبتدأ فيها نكرة في قوله تعالى: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم)، لحقارة هذه الفئة ودناءتها، وهذا المعنى دل عليه السياق، لأن هذه الطائفة - كما أشارت الآية - جعلتهم أنفسهم ذوي هم، والهم في اللغة - كما مر بنا - ترديد الصوت في الصدر (العين، د.ت.) ولكن العرب استعملته للخائف، أي: على الخائف الذي شغله هم نفسه عن غيره فهذه الطائفة لا يهتمهم إلا أنفسهم لا النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الطبرسي، 2005، ج. 2 / مج. 2 / ج. 4/ 421). والخبر الثاني الذي أخبرته الآية عن هذه الفئة أنهم (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) والظن من أفعال القلوب يدل على الشك وقد يدل على اليقين (الميرد، د.ت.، ج. 3 / 95)، وهو ضرب من الاتهام، قال الزمخشري: (ورجل ظنين: متهم وفيه ظنه وعنده ظني، وهو ظني، أي: موضع تهمني) (الزمخشري، 2001، ص. 482) ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن ظن إذا اتصلت بأن فدالاتها في الغالب اليقين نحو قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم - البقرة 46) ومن غير الغالب قوله تعالى: (وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك) فدلّت هذه الآية على الشك (السامرائي، 2003، ج. 2 / 18 - 19)، فالذي يحدّد دلالة الشك أو اليقين هو السياق، ويلاحظ أن الظن في سياق الآية ورد مرتين، جاء مرة بصيغة المضارع، ومرة بصيغة المصدر (يظنون - ظن الجاهلية) والتعبير بصيغة المضارع - كما مر بنا في أكثر من موضع - يدل على تجدد هذا الأمر منهم وأنه ملازم لهم، ويفيد استحضر هذه الصورة في ذهن المتلقي (روح المعاني، د.ت.، ج. 9 / 223)، ليتبين حقيقة هذه الطائفة، وجاء اللفظ الآخر بصيغة المصدر (ظن الجاهلية) مؤكّداً على أن هذا الظن خرج إلى معنى اليقين، وفي ذلك بيان لحالهم الدنيء، وكشف لحقيقتهم، إذ إنه تعالى أشار في البدء إلى أنهم يظنون بالله غير الحق الذي يجب أن يُظن به، وظنّ الجاهلية بدل منه، والفائدة في هذا الترتيب أن غير الحق أديان كثيرة، وأقبحها اعتقاداً ومقالة مقالات أهل الجاهلية، فذكر أولاً أنهم يظنون بالله غير الحق، ثم بين أنهم اختاروا من أقسام الأديان غير الحق أكثرها بطلائاً، وهو ظن أهل الجاهلية، وفي ذلك إشارة وتعرّيب بابي سفيان ومن معه، فدلالة (ظن الجاهلية) اقتران هؤلاء الضانين بابي سفيان وأصحابه (التفسير الكبير، د.ت.، ج. 9 / 40؛ أبو حيان، 2002، ج. 3 / 128).

ومن ورود المبتدأ نكرة وقد جاء دالا على معنى التعظيم قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (آل عمران: 157). ذكر المفسرون أن الآية الكريمة نزلت تسلياً للمؤمنين وتعزية لهم لما أصابهم يوم احد (الطبرسي، 2005، ج. 2 / مج. 2 / ج. 4 / 426) ويلاحظ في سياق الآية أن جملة جواب القسم (لمغفرة من الله ورحمة

خير مما يجمعون) جاءت جملة اسمية والمبتدأ فيها نكرة متصدراً بلام التوكيد ليدل على عظمة هذه المغفرة، إذ إنها غير محددة فتركها من غير تحديد يعطيها سعة أكثر، ودخول (لام) التوكيد عليها يدل على أنها متحققة لا محالة، فضلاً عن ذلك فقد جاءت مقيدة بأوصاف عظيمة وهي (من الله، ورحمة) فكونها من الله يكسبها قدسية وعناية أكثر، والتكثير في (رحمة) أفاد المبالغة في هذا العطاء الإلهي (التركيب اللغوية العربية، د.ت.، ص. 141) ثم جاء التعبير القرآني في قوله (مما يجمعون) باستعمال الاسم الموصول، وحذف المفعول به من الفعل يجمعون تحقيراً لهذا الجمع؛ لأنه لا قيمة له مقارنة بعطاء الله وما أعده للذين قتلوا في سبيله يوم أحد، وهذا مستفاد من دلالة العموم في الاسم الموصول (السامرائي، 2003، ج. 1/113)، ومن دلالة حذف المفعول به من الفعل (يجمعون)، فالعموم الذي أفاده الاسم الموصول بعدم تعيين ذلك الجمع مهما تنوع أو كثر، وعدم ذكره في السياق فيه إشعار للمتلقي بدناءته وحقارته، وكذلك الحذف الذي دلّ على تحقير المحذوف (البلاغة العربية، د.ت.، ص. 219).

رابعاً: حذف المبتدأ

الحذف: مظهر من مظاهر تكثيف التركيب اللغوي وإيجازه، والتخفيف من ثقله، وفي الإيجاز تكمن البلاغة، ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير، وتكون الجملة مع الحذف اشد وقعاً في النفس، وأتم بياناً، وأفصح من الذكر، وهذا لا يعني أن الزيادة في التركيب مظهر من مظاهر عدم البلاغة (التركيب اللغوية في العربية، د.ت.، ص. 152-153). وقد اهتم الجرجاني بهذه الظاهرة، وكانت إحدى مباحثه في كتابه دلائل الإعجاز، فهو يقول: (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، وتجذك انطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين...) (دلائل الأعجاز، د.ت.، ص. 112).

فالحذف: إسقاط جزء من الكلام لدليل يدل عليه (الزركشي، 2001، ج. 3/102) فهو أسلوب تعبير، ونسق لغوي يناسب بين المقام والأسلوب، تحقيقاً لمقتضيات بلاغية لا تؤدي بغيره (أسلوب الحذف في القرآن الكريم، د.ت.، ص. 27) ويرى البلاغيون أن هنالك ثلاث مزايا تراها كامنة وراء كل حذف يقع في اللغة هي: الاقتصاد الأدائي الذي يجعل مستعمل اللغة يصوغ كلامه بما يسمح له بإبلاغ أكبر كمية ممكنة من الدلالات بأقل مجهود أدائي ممكن، والبعد من الوضوح الكامل في الصياغة الأدبية، والاكتفاء بمؤشرات مقالية، أو حاله تسمح بغياب بعض الدوال المعبرة عنها وقد اصطلاح عليه البلاغيون بـ(الاحتراز عن العبث

بناءً على الظاهر، أو يكون الغرض من وراء الحذف القصد إلى تعظيم المحذوف، أو تحقيره (البلاغة العربية، د.ت.؛ علم المعاني، د.ت.، ص. 78 وما بعدها).

ومن آيات المغازي التي حذف فيها المبتدأ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ *ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (الأنفال: 13 - 14).

الآيتان الكريمتان وضحتا أن الذي حدث للمشركون يوم بدر من الانكسار والهزيمة، والقتل والضرب كان سببه المعادة لله ورسوله وما هذا إلا عقاب عاجل، وسيأتي العقاب الآجل يوم القيامة (الكشاف، د.ت.، ج. 2 / 205).

ويرى بعض اللغويين والمفسرين أن المبتدأ محذوف في بداية كلٍّ من الآيتين وأن اسم الإشارة (ذلك، وذلكم) خبران لمبتدأين محذوفين والتقدير: في الآية الأولى: (الأمر ذلك)، وفي الثانية (العقاب ذلكم) (روح المعاني، د.ت.، ج. 9 / 233) يلاحظ أن الآيتين تؤكدان أن العذاب والعقاب متحققان لا محالة وذلك مستفاد من تكرار ألفاظ التهديد والعقاب في سياق الآيتين، ويمكن أن يكون لحذف المبتدأ المقدر بـ(العقاب) هو عظمة ذلك العقاب والإشارة إلى أنه واقع، وأشار إلى ذلك البلاغيون بأن القصد وراء الحذف قد يكون تعظيم المحذوف (البلاغة العربية، د.ت.، ص. 217) أو قد يكون وراء هذا إثارة تحريك خيال المخاطب وأحاسيسه، ليدرك من الآية ما سكت عنه، وطوي ذكره (علم المعاني، د.ت.، ص. 78)، وقد أكد هذا المعنى مجيء قوله (فذوقوه) التي فيها إشعار بالتوبيخ والتهديد، فإنَّ المشركون بعداوتهم لله ورسوله، وبتعطرسهم، وبطرهم، وريائهم يوم بدر ما كسبوا إلا القتل والضرب والهزيمة فضلاً عن ذلك غضب الله وما أعد لهم من عذاب يوم القيامة (روح المعاني، د.ت.، ج. 9 / 233).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: 169).

ذكر المفسرون أن مناسبة الآية في شهداء أحد، وأنهم أحياء يزرقون وقد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة (الكشاف، د.ت.، ج. 2 / 440)، وقد حُذف المبتدأ في قوله (بل أحياء)، والتقدير: بل هم أحياء وقد علل الزمخشري هذا الحذف بدلالة الكلام عليه (الكشاف، د.ت.، ج. 1 / 439).

وللحذف وظيفة أسلوبية، إذ جاء الخبر (أحياء) بعد حرف الإضراب (بل)، لتوجيه العناية إلى حكمته، وإبراز دلالة التقابل بين الموت الظاهر في (أمواتا) والحياة الخاصة في (أحياء)، فوقع الحرف (بل)، بسبب الحذف بين طرفي التقابل الحاد: (الموت) و(الحياة) مشيراً إلى حقيقة كبرى هي الحياة الأبدية لأولئك الشهداء الذين

قتلوا في سبيل الله، فهم في دار الخلود، والنعيم الأبدى بخلاف حال المشركين الذين تنتهي حياتهم بمجرد موتهم بحسب عقيدتهم التي تتوهمها عقولهم (السور المدنية في القرآن الكريم، د.ت.، ص. 144).
ويلاحظ أن النص القرآني نفى منذ البدء هذه الحقيقة، وهي كونهم أمواتاً باستعمال (لا)، ودخول (نون) التوكيد الثقيلة عليه؛ لتأكيد أنهم أحياء، وفي ذلك ردٌّ على من قال لهم: لو كانوا معنا ما قتلوا (الطبرسي، 2005، ج. 2 / ج. 4 / 425).

الجملة الفعلية ودلالاتها

الفعل هو (ما دل على اقتران حدث بزمان، ومن خصائصه صحة دخول (قد)، وحرفي الاستقبال، والجوازم، ولحوق المتصل البارز من الضمائر، وتاء التأنيث الساكنة، نحو قولك: قد فعل، وقد يفعل وسوف يفعل، ولم يفعل، وفعلت، ويفعلن، وافعلي، وفعلت) (المفصل، د.ت.، ص. 311)، فالجملة الفعلية هي التي يكون فيها المسند دالاً على التغيير والتجدد، أي: هي التي يكون فيها المسند فعلاً؛ لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على تجدد الإسناد وتغييره، ودلالة الجملة الفعلية الإخبار مقروناً بالزمان من غير أن يكون فيها ثبوت أو توكيد، وإنما يؤتى بها لتصوير الحدث في الماضي، أو الحال، أو الاستقبال (الطراز، د.ت.، ج. 2 / 31؛ المعاني في ضوء أساليب القرآن، د.ت.، ص. 202).

ومما لاشك فيه أن التعبير القرآني تؤدي فيه الجمل الاسمية والجمل الفعلية معاني مختلفة يحددها السياق الذي يردان فيه لأنه نص مقصود، وليس نصاً اعتباطياً، فالجملة القرآنية بناء محكم نسقت كلماته أدق التنسيق، وفي أسهل تركيب، وهي تتبع المعنى النفسي، فتجسده بألفاظها، ولكل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية دلالتها في الخطاب القرآني؛ لأن هناك نسباً متفاوتة في المقاصد، والمعاني بين الاستعماليين، فكل منهما سياق يقتضيه، وصورة من المعنى لا يدل عليه غيره (من بلاغة القرآن، د.ت.، ص. 105).
ومن دلالة الجملة الفعلية في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: 7).

في الآية كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين يوم بدر، مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم؛ لأنهم أحبوا ملاقة أبي سفيان على ملاقة أبي جهل (روح المعاني، د.ت.، ج. 9 / 223) ويلاحظ أن الآية تصدّرت بالحرف (إذ) الذي يدل في أغلب سياقاته على الزمن الماضي (السامرائي، 2003، ج. 2 / 177)، بينما جاءت الأفعال في سياق الآية بصيغة المضارع (يعدكم، تودون، تكون، يريد، يحق، يقطع)؛ وذلك لاستحضار هذه الصورة في ذهن السامع وكأنها مشاهدة (المعاني في ضوء أساليب القرآن،

د.ت.، ص. 202)، فالنص القرآني أثر صيغة المضارع على صيغة الماضي الذي هو الغالب مع الطرف (إذ) وقد غُلّ ذلك بأن هذه الأفعال مضارعة لفظاً وماضية معنى لوجود قرينة (إذ)، أو الإشارة إلى أن رغبته في قتال أبي سفيان كانت قبل غزوة بدر؛ لأنه كان على رأس القافلة التجارية، ولم يكن حاضراً يوم بدر (التحرير والتنوير، د.ت.، ج. 9 / 327 - 328). إذ إن الطائفتين المشار إليهما في الآية الكريمة هما: أبو سفيان مع عدد قليل من أصحابه على رأس قافلة تجارية، والطائفة الأخرى هي: أبو جهل الذي جاء على رأس جيش جرار، وقد وصفهم النص القرآني بوصف بليغ، في قوله: (ذات الشوكة) والشوكة في اللغة: شدة البأس (لسان العرب، د.ت.، ج. 10 / 454)، ولفظ (الشوكة) مستعار، وهو أبلغ في التعبير وحقيقته حدّ السلاح، فذكر الحدّ الذي به تقع المخالفة، واعتمد على الإيحاء إلى النكتة، إذ كان السلاح يشتمل على ماله حدّ، وما ليس له حدّ فشوكة السلاح هي التي تبقى، وفي هذا التعبير إشارة إلى قوة هذه الطائفة (النكت في إعجاز القرآن، د.ت.، ص. 13؛ الكشف، د.ت.، ج. 2 / 199).

ويلاحظ أن النص القرآني صرح بقوة هذه الطائفة تعريضاً بالمسلمين، إذ إنهم أرادوا مواجهة الطائفة الأولى المتمثلة بالقافلة التجارية؛ رغبة بالغنائم، وهروباً من المواجهة العسكرية؛ وهذا يبيّن عن ضعف نفسي؛ نتيجة التردد الذي أبدوه عندما عرض عليهم الرسول أمر مواجهة إحدى الطائفتين، لكنهم أحبوا مواجهة أبي سفيان التي عبر عنها النص بـ (غير ذات الشوكة) على أبي جهل وأصحابه (النحاس، د.ت.، ج. 3 / 133) وقد دل على هذا المعنى - التعبير عن رغبته بالفعل (تودون) وهذا الفعل يدل على أمرين: الرغبة مع الأمانة فهو في اللغة من: (وَدِدْتُ لَوْ تَفَعَّلَ ذَاكَ، وَوَدِدْتُ لَوْ أَنْكَ تَفَعَّلَ ذَاكَ، وَدَا وَوَدَا، وَوَدَادَةً، وَوَدَادًا أَي تَمَنَيْتُ... وَوَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوْدُهُ وَدَاً، إِذَا أَحْبَبْتَهُ. وَالْوَدُّ وَالْوُدُّ وَالْوَدَّةُ. تَقُولُ: بُوْدِي أَنْ يَكُونَ كَذَا) (الجوهري، 1987، ج. 2 / 549) فاستعمال الفعل (تودون) في هذا الموضع هو الإخبار بأن رغبته في الذهاب إلى القافلة وصلت إلى حد الأمانة؛ لذلك جاء الأمر الإلهي بالذهاب إلى بدر، واختيار المواجهة العسكرية؛ لأن في ذلك اختباراً حقيقياً لهم؛ ولتكون التضحية في سبيل الله ورسوله الغاية الأولى لهم (الكشف، د.ت.، ج. 2 / 199).

وقد يدل الفعل المضارع على الديمومة والاستمرار، أي: أنه يشتمل على الأزمنة جميعها (الماضي، والحال، والمستقبل) ومما جاء دالاً على هذا المعنى في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: 47).

خذرت الآية الكريمة المسلمين من التنازع والاختلاف في الرأي، فضربت لهم مثلاً أصحاب أبي جهل عندما جاؤوا بطرين، طربين مرثين بأعمالهم فانهزموا، بل كونوا من أهل التقوى (الكشاف، د.ت.، ج. 2 / 227).

تصدّرت الآية الكريمة بـ(لا) الناهية الداخلية على الفعل (تكونوا) وقد يكون النهي خرج إلى معنى التهديد (ابن هشام، 1386هـ، ج. 1 / 248)، وتصدير الآية بالنهي يفيد إحضار ذهن المتلقي، وجعله متهيئاً ومتشوقاً لسماع الأمر الذي أرادت الآية النهي عنه والتحذير منه، وتجعله يتساءل عن سبب هذا النهي (علم المعاني، د.ت.، ص. 39) والتقدير: لا تكونوا كالذين جاؤوا بطرين مرثين يوم بدر ممثلين زهواً وتكبراً، والبطر في اللغة: (الأُسْر) وهو شدة البطر (مقاييس اللغة، د.ت.). ثم عادوا أدلاء قد عاينوا الخزي والعار، وقد جاء التعبير عن (البطر، والرياء) بالاسم وعن (الصدّ) بالفعل؛ ليدل على أن البطر والرياء دأبهم، ومن مكونات تركيبة شخصيتهم، بخلاف الصدّ الذي جاء بصيغة المضارع (يصدون)، ليدل على أن هذا الأمر حادث متجدد في زمن النبوة (روح المعاني، د.ت.، ج. 10 / 291؛ التبيان في علم البيان، د.ت.، ص. 49) والصد في اللغة: الإعراض، يقال: (صدّ) عنه يصدّ بضم الصاد (صُدُوْدًا) أعرض، و(صدّه) عن الأمر منعه وصرفه عنه (الجوهري، 1987).

ويرى ابن عاشور أن الفعلين (يصدون، ويعملون) يدلان على الاستمرار، والديمومة، فهما مضارعان لفظاً، إذ إنهما يدلان على حدوث المعنى وتجده بصورة مستمرة لا تنقيد بزمن، فهم يصدون الناس عن سبيل الله مكررين هذا العمل ومستمرين عليه في كل زمان، أما الفعل (يعملون) فهو يدل على أن الله عالم بأفعالهم مطلع على سرائرهم في كل زمان، أي بصورة دائمة لا يحدها زمن معين (التحرير والتنوير، د.ت.، ج. 10 / 33). ويلاحظ أن النص القرآني أكد هذا المعنى عن طريق التعبير عنه بجملة اسمية (والله بما يعملون محيط) التي أكسبته ثبوتاً وتأكيذاً؛ وهذا مستفاد من دلالة الجملة الاسمية على ذلك - كما مر بنا - وكما أثبتته عبد القاهر الجرجاني بقوله: (إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء) (دلائل الإعجاز، د.ت.، ص. 133).

وقد يدل الفعل المضارع على الماضي بقرينة لفظية، وذلك بدخول الحرف (لم) عليه، فهو حرف يدخل على الأفعال المضارعة يقلب زمنها إلى المضي من غير الحاجة إلى قرينة لفظية أخرى (التركيب اللغوية في العربية، د.ت.، ص. 335) ومنه في آيات المغازي قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (الأحزاب: 25).



الآية في سياق غزوة الأحزاب بيّنت فضل الله على المؤمنين بأن كفاهم معاناة القتل والقتال بإرساله الريح والملائكة (الكشاف، د.ت.، ج. 3 / 533)، تصدّرت الآية الكريمة بفعل ماضٍ وهو (رد الله الكافرين بغيظهم) وقد أسند فعل الردّ إليه تعالى زيادةً في المهابة، وإدخال الروح في قلوب الأحزاب وجمعهم؛ وليبيان أن ما نزل بهم واقعة طامة تحيّرت بها العقول، وداهية تحاكت فيها الركب، وزلّت بها الأقدام، ولإظهار عظم النعمة، وإبانة خطرها الجليل؛ ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها، فلهول هذا الموقف ولأن الله أرسل معجزته نسب إسناد فعل الردّ إليه (روح المعاني، د.ت.، ج. 21 / 227) ويلاحظ أن الأفعال الواردة في سياق الآية أسندت أغلبها إليه تعالى (رد الله، كفى الله، كان الله)؛ لما سبق ذكره من المبالغة والتأكيد على تدخل الله العظيم في نصرة المؤمنين (روح المعاني، د.ت.، ج. 21 / 227).

وقد جاء الفعل المضارع (ينالوا) المسبوق بـ(لم) دالاً على الزمن الماضي، إذ عطف عليه الفعل الماضي (كفى الله)، والأفعال الواردة كلها دلت على الزمن الماضي فناسب مجيء (لم ينالوا) في سياق الآية لأن الحرف (لم) قلب زمن المضارع إلى الماضي (التركيب اللغوية في العربية، د.ت.، ص. 335). مما سبق تظهر أهمية التعبير بالجملة الاسمية والجملة الفعلية، فلكل منهما دلالة، والسياق هو الذي يحدد دلالة كل منهما، فالتركيب القرآني وحدة واحدة لا ينفصل فيه التركيب النحوي عن أسراره البنيانية والمعنوية، وهي تتضافر على إضاءة النص وكشف دلالاته وغاياته، فهو ينظمه هذا - بطريقة خاصة بهي لا تأتلف مع الطرائق الأخرى - صارت معانيه لا تنفد (البحث الدلالي في تفسير الميزان، د.ت.، ص. 21).

الخاتمة ونتائج البحث

- 1- أثبتت الدراسة أن النبي الأكرم لم يتخذ من الغزوات وسيلة لإجبار الآخرين في الدخول إلى الإسلام بل كانت الغزوات للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحمايتهم من المشركين واليهود اللذين يريدان القضاء على الإسلام.
- 2- أثبتت الدراسة صحة ما ذهب إليه اللغويون البلاغيون من أن الجملة الاسمية تدل على الاستقرار والثبوت والجملة الفعلية تدل على التجدد وأن النص القرآني يعدل إلى الجملة الاسمية قاصداً معنى الثبوت والاستقرار.





- 3-توصلت الدراسة إلى تركيب (انقلبتم على أعقابكم وينقلب على عقبه) يرد في سياقات الارتداد من أمر إلى أسوأ وقد دل على أن فئة من الذين كانوا في جيش المسلمين ارتدوا مشركين يوم أحد ولم يرد إلا في سياق غزوة أحد فلم يرد في سائر الغزوات الأخرى.
- 4-تظهر أهمية التعبير بالجملة الاسمية والجملة الفعلية، فكل منهما دلالاته، والسياق هو الذي يحدد دلالة كل منهما، فالتركيب القرآني وحدة واحدة لا ينفصل فيه التركيب النحوي عن أسرار البيان المعنوية، وهي تتضافر على إضاءة النص وكشف دلالاته وغاياته.

المصادر

القرآن الكريم

- [1] ابن الأثير الجزري، ضياء الدين. (1956). الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (تحقيق وتعليق مصطفى جواد وجميل سعيد). مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- [2] ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر. (1982). الإيضاح في شرح المفصل (تحقيق موسى بناي العلبي). وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة العاني.
- [3] ابن السراج البغدادي، أبو بكر. (1999). الأصول في النحو (تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط. 1). مؤسسة الرسالة.
- [4] ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت.). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار). عالم الكتب.
- [5] ابن جني، أبو الفتح عثمان. (2007). سر صناعة الإعراب (تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، ط. 2). دار الكتب العلمية.
- [6] ابن حيان الأندلسي. (2002). البحر المحيط (تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهدي، ط. 1). دار إحياء التراث.
- [7] ابن عقيل الهمداني، بهاء الدين عبد الله. (1964). شرح ابن عقيل (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. 14). المكتبة التجارية الكبرى.
- [8] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين. (1386هـ). مغني اللبيب عن كتب الأعراب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. 1). دار الصادق.
- [9] بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. (د.ت.). الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل نافع ابن الأزرق: دراسة قرآنية لغوية وبيانية (ط. 3). دار المعارف.





- [10] براجستراستر. (1982). التطور النحوي للغة العربية (إخراج وتصحيح وتعليق رمضان عبد التواب). مكتبة الخانجي، دار الرفاعي.
- [11] الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط. 4). دار العلم للملايين.
- [12] الخالدي، كريم حسين ناصح. (1990). أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى مطلع القرن الرابع الهجري [أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد].
- [13] الدرويش، محيي الدين. (د.ت.). إعراب القرآن وبيانه (ط. 1). كمال الملك، مطبعة سليمان زادة.
- [14] الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني. (1994). تاج العروس (تحقيق علي شيري). دار الفكر.
- [15] الزجاجي، أبو القاسم. (1979). الإيضاح في علل النحو (تحقيق مازن المبارك). دار النفائس.
- [16] الزمخشري الخوارزمي، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (2001). أساس البلاغة (ط. 1). دار إحياء التراث العربي.
- [17] الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد. (1974). البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط. 1). مطبعة العاني، دار إحياء التراث الإسلامي.
- [18] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (2001). البرهان في علوم القرآن (تخريج أحاديث وتقديم وتعليق مصطفى عبد القادر عطا، ط. 1). دار الفكر.
- [19] السعدي، عبد الرحمن. (1986). أثر الدلالة النحوية واللغوية في آيات الأحكام الشرعية (ط. 1). مطبعة الخلود.
- [20] مصطفى، قيس إبراهيم. (1998). السمات الجمالية في القرآن الكريم من وجهة نظر فنان تشكيلي [أطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد].
- [21] هلال، ماهر مهدي. (1980). جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب. دار الرشيد.
- [22] الهاشمي، أحمد. (د.ت.). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ط. 12). دار إحياء التراث العربي.
- [23] ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1986). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد العليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. 2). دار سزكين.





- [24] ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن. (1986). شرح جمل الزجاجة (تحقيق صاحب أبو جناح). دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.
- [25] ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله. (1990). شرح التسهيل (تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، ط. 1). دار هجر.
- [26] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله. (1997). شرح شذور الذهب (تحقيق محمد ياسر شرف، ط. 1). دار إحسان.
- [27] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله. (1424هـ). شرح قطر الندى وبل الصدى (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. 7). منشورات الفيروز آبادي.
- [28] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين عبد الله. (1386هـ). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. 1). دار الصادق.
- [29] ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي. (د.ت.). شرح المفصل. عالم الكتب؛ مكتبة المتنبّي.
- [30] الأزهرى، خالد بن عبد الله. (2000). شرح التصريح على التوضيح (تحقيق محمد باسل، ط. 1). دار الكتب العلمية.
- [31] الاستراباذي، رضي الدين. (1975). شرح شافية ابن الحاجب (تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد). دار الكتب العلمية.
- [32] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1981). صحيح البخاري. دار الفكر.
- [33] الجوهرى، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، ط. 4). دار العلم للملايين.
- [34] السامرائي، فاضل صالح. (2003). معاني النحو (ط. 2). دار الفكر.
- [35] السيوطي، جلال الدين. (1998). معترك الأقران في إعجاز القرآن (ضبط وتصحيح وفهرسة أحمد شمس الدين، ط. 1). دار الكتب العلمية.
- [36] الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (2005). مجمع البيان في تفسير القرآن (تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط. 2). مؤسسة الأعلى.
- [37] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد. (د.ت.). شرح المراح في التصريف (تحقيق وتعليق عبد الستار جواد). [الناشر غير مذكور].





- [38] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (د.ت.). المقتضب (تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة). عالم الكتب.
- [39] المخزومي، مهدي. (1964). في النحو العربي: نقد وتوجيه (ط. 1). منشورات المكتبة العصرية.
- [40] المخزومي، مهدي. (1985). في النحو العربي: قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث (ط. 3). [الناشر غير مذكور].
- [41] مطلوب، أحمد. (1989). معجم النقد العربي القديم (ط. 1). دار الشؤون الثقافية العامة.
- [42] وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. (1979). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. دائرة المعاجم، مكتبة لبنان.
- [43] في التركيب اللغوي في الشعر العراقي المعاصر: دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي. (1980). دار الرشيد.

